

تفريغ مُصَحَّح ومُراجَع لشرح
محمد بن سعيد ابن طوق المُرِّي

على

لامية شيخ الإسلام ابن تيمية

— رحمه الله —

لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْدِيرٍ

- يا سائلي عن مذهبي وعقيدتي ١ رزق الهدى من الهداية يسأل
اسمع كلام محقق في قوله ٢ لا ينثنى عنه ولا يتبدل
حب الصحابة كلهم لى مذهب ٣ ومودة القربي بها اتوسل
ولكلهم قدر علا وفضائل ٤ لكنما الصديق منهم افضل
واقول في القرآن ما جاءت به ٥ آياته فهو الكريم المنزل
واقول قال الله جل جلاله ٦ والمصطفى الهادي ولا اتأول
وجميع آيات الصفات أمرها ٧ حقا كما نقل الطراز الأول
وأرد عهدها إلى نقالها ٨ وأصونها عن كل ما يتخيل
قبحا لمن نبذ القرآن وراءه ٩ وإذا استدل يقول قال الأخطل
والمؤمنون يرون حقا ربهم ١٠ وإلى السماء بغير كيف ينزل
وأقر بالميزان والحوض الذي ١١ أرجو بآي منه ريا أنهل
وكذا الصراط يمد فوق جهنم ١٢ فمسلم ناج وآخر مهمل
والتار يصلاحها الشقي بحكمة ١٣ وكذا التقي إلى الجنان سيدخل
ولكل حي عاقل في قبره ١٤ عمل يقارنه هناك ويسأل
هذا اعتقاد الشافعي ومالك ١٥ وأبي حنيفة ثم أحمد ينقل
فإن اتبعت سبيلهم فموفق ١٦ وإن ابتدعت فما عليك معول

المقدمة

الحمد لله ربّ العالمين، والصلاة والسلام على نبينا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين، أما بعد: فإن دراسة العقيدة نعمة عظيمة من الله جلّ وعلا؛ فإن النجاة يوم القيامة إنما علّقت على سلامة القلب ﴿يَوْمَ لَا يَنْفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ ﴿٨٨﴾ إِلَّا مَنْ آتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ ﴿٨٩﴾﴾ [الشُّعَرَاءُ : ٨٨ - ٨٩]. والقلب السليم هو القلب الذي صلح اعتقاده، واستقام توحيده، وسار على درب النبي ﷺ.

وعلم الاعتقاد موضوعه: العلم بالله تعالى، ثم ما تفرّع عن هذا الأصل. والله جلّ وعلا هو العظيم؛ فالعلم به أعظم من كل علم. وهو جلّ وعلا الأكبر؛ فالعلم به أكبر من كل علم. وشرف العلم من شرف المعلوم، والله تبارك وتعالى أشرف معلوم؛ فالعلم به أشرف العلوم. فإذا وجدت في نفسك همّة في تلقي هذا العلم؛ فاعلم أن هذا من بشائر الخير؛ فاحمد الله واثبت وزد. ونحن في زمن متأخر تشتدّ فيه الغربة على أهل السنة، والمخرج من هذه الفتن التي تنهش من هذه الأمة من كل جانب هو بتوفيق الله في العلم الشرعي، في علم الكتاب والسنة، وأعلى ذلك وأرفعه علم الاعتقاد فليُشَمِّر المريدُ نجاته عن ساعد الجدّ في تحصيل هذا العلم؛ فإنه إذا كان شيئاً مهماً في كل وقت؛ فإنه في هذا الزمان أهم.

ثم إن دراسة المُعْتَقَد تُرَقِّقُك في مقامات العبوديّة التي هي الغاية التي شَمَّر إليها المشمّرون، وقد ذكر الله نبيّه باسم العبوديّة في أشرف مقاماته، في الإسراء قال: ﴿سُبْحَنَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ﴾ [الإِسْرَاءُ : ١]. وفي التحدي: ﴿وَإِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِّثْلِهِ﴾ [البَقَرَةُ : ٢٣]. وفي الدعاء والعبادة: ﴿وَأَنَّهُ لَمَّا قَامَ عَبْدُ اللَّهِ يَدْعُوهُ﴾ [الحِجْنَ : ١٩] وفي حديث الشفاعة قول عيسى عليه السلام: «أتوا محمداً عبداً غفر

اللهُ له» فدلَّ على أنه ما نال هذا المقام العظيم إلا بكمال عبوديته لله جلَّ وعلا، وكمال مغفرة الله له.

وإذا كانت العبودية عند الله بهذه المنزلة؛ فحريُّ بالعبد أن يستفرغ وسعته، وقواه، وطاقته كلها في تحقيق كمال هذه العبودية.

وهذه اللامية خلاصة مختصرة مُعْتَصَرَةٌ في الاعتقاد في ستة عشر بيتًا من بحر الكامل، وهي منسوبة إلى شيخ الإسلام ابن تيمية، وإن اختلفوا في صحَّة نسبتها؛ لكن الأكثرون على تصحيح نسبتها إليه؛ كالألوسي في (جلاء العينين في محاكمة الأحمدين) والرَّشيد في (شرح الواسطية)، ويدل لهذا شهرة نسبتها إليه؛ فالقصيدة إذا ذُكرت فإنها تُذكر منسوبة إلى شيخ الإسلام ابن تيمية، ولم تُنسب إلى غيره.

وقد وُجدت في مخطوطة بين كتب ورسائل شيخ الإسلام ابن تيمية، وإن كانت لم يُكتب عليها أنها من كلام شيخ الإسلام، ومن يرى الاحتياط يقول: اللامية المنسوبة إلى شيخ الإسلام ابن تيمية، والخلاف في نسبتها إلى شيخ الإسلام لا يَنْقُص قيمتها العلمية؛ فهي متلقاة بالقبول.

يَا سَائِلِي عَنْ مَذْهَبِي وَعَقِيدَتِي ١ رُزِقَ الْهُدَى مَنْ لِلْهُدَايَةِ يَسْأَلُ

يا سائلي عن مذهبي: عمّا أذهب إليه في الاعتقاد. وعقيدتي: ما أربط عليه قلبي في هذا الباب. رزق الهدي من للهداية يسأل: دعاء لسائل الهداية.

اسْمَعْ كَلَامَ مُحَقِّقٍ فِي قَوْلِهِ ٢ لَا يَنْتَنِي عَنْهُ وَلَا يَتَبَدَّلُ

المُحَقِّقُ فِي قَوْلِهِ: هو الذي لا ينتني عنه ولا يتبدّل؛ فالشطر الثاني تفسير لمعنى المُحَقِّق. لا ينتني عنه: أي لا يرجع عنه، ولا يتبدّل.

والاعتقاد الصحيح من أعظم أسباب الثبات، عقيدة أهل السنة والجماعة مبنية على الدليل من كتاب الله، وسنة رسوله ﷺ وما كان عليه الصحابة الكرام؛ فهي عقيدة صافية نقيّة، ليس فيها غموض ولا تعقيد؛ بخلاف عقائد غيرهم - غير أهل السنة - ممّن عولّوا على العقول، وتأولّوا النُّقول، وبنوا عقائدهم على علم الكلام المذموم؛ لذا تجد أنهم يُظهرون التَّحِيرَ والنَّدَمَ، ويذمُّون علم الكلام. هذا الغزالي - رحمه الله - في (الإحياء) يقول في كلامه على علم الكلام، ولا ينبئك مثل خبير: "أما مضرّته؛ فإثارة الشُّبهات، وتحريك العقائد، وإزالتها عن الجزم والتّصميم.." - ووفق يذكر مضرته - ثم قال: "وأما منفعتها؛ فقد يُظن أن فائدته كشف الحقائق، ومعرّفتها على ما هي عليه، وهيهات! فليس في الكلام وفاء بهذا المطلب الشريف، ولعل التّخيط والتّضليل فيه أكثر من الكشف والتعريف.." ثم قال: "وهذا إذا سمعته من محدّث أو حشويّ ربما خطر ببالك أن الناس أعداء ما جهلوا؛ فاسمع هذا ممن خبر الكلام ثم قلّاه بعد حقيقة الخبرة، وبعد التّغلغل فيه إلى منتهى درجة المتكلّمين، وجاوز ذلك إلى التعمّق في علوم آخر تناسب نوع الكلام، وتحقّق أن

الطريق إلى حقائق المعرفة من هذا الوجه مسدود، ولعمري لا ينفك الكلام عن كشف وتعريف وإيضاح لبعض الأمور، ولكن على النُّدور في أمور جليّة تكاد تفهم قبل التعمّق في صناعة الكلام". نقل هذا ابن أبي العزّ في شرح الطحاويّة ثم قال: "كلام مثله في ذلك حجة بالغة".

وقد أعرض الغزالي -رحمه الله- عن هذه الطُّرق، ومات وقد أقبل على الحديث، ومات وصحيح البخاري على صدره، وصنّف (إلجام العوام عن علم الكلام) كما ذكر هذا شيخ الإسلام ابن تيمية -رحمه الله-.

وهذا ابن رُشد الحفيد وهو من أعلم الناس بمذاهب الفلاسفة ومقالاتهم، قال في كتابه (تهافت التّهافت): ومن الذي قال في الإلهيات شيء يُعتدُّ به!

وهذا الرازي وهو من كبرائهم قال:

نهاية إقدام العقولِ عِقالٌ * وغاية سعيِّ العالمين ضلالٌ
وأرواحنا في وَحْشَةٍ مِّنْ جُسُومِنَا * وحاصلُ دُنْيَانَا أَدَى وَوَبَالٌ
ولم نَسْتَفِدْ مِنْ بَحْثِنَا طَوْلَ عُمْرِنَا * سوى أن جَمَعْنَا فِيهِ قِلَ وَقَالُوا

ثم قال: "لقد تأملت الطرق الكلامية والمناهج الفلسفية، فما رأيتها تشفي غليلاً، ولا تُروِي غليلاً، ورأيت أقرب الطُّرق طريقة القرآن، أقرأ في الإثبات: ﴿الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى﴾ [طه: ٥]، ﴿إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ﴾ [فاطر: ١٠]، وأقرأ في النفي: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ [الشورى: ١١]، ﴿وَلَا يُحِيطُونَ بِهِ﴾ [طه: ١١٠]، ثم قال: ومن جرّب مثل تجربتي، عرف مثل معرفتي".

وقال آخر:

لعمري لقد طُفْتُ المَعَاهِدِ كُلَّهَا * وَسَيَّرْتُ طَرْفِي بَيْنَ تِلْكَ المَعَالِمِ
فلم أَرِ إِلَّا وَاضِعًا كَفَّ حَائِرِ * عَلَى دَقْنِي أَوْ قَارِعًا سِنَّ نَادِمِ

وقد أجابه الصَّنْعَانِيّ - رحمه الله - فقال:

لَعَلَّكَ أَهْمَلْتَ الطَّوَافَ بِمَعْهَدِ الرَّ * سُؤْلِ وَمَنْ لَاقَاهُ مِنْ كُلِّ عَالِمِ
فَمَا حَارَ مَنْ يُهْدِي بِهِدْيِ مُحَمَّدٍ * وَلَسْتَ تَرَاهُ قَارِعًا سِنَّ نَادِمِ

وهذا أبو المعالي الجويني - رحمه الله - يقول: "يا أصحابنا لا تشتغلوا بالكلام؛ فلو عرفتُ أن الكلام يبلغ بي إلى ما بلغ ما اشتغلت به". وقال عند موته: "لقد خُضْتُ البحرَ الخِضَمَّ، وخَلَّيتُ أهلَ الإسلامِ وعلومهم، ودخلت في الذي نهوني عنه، فإن لم يتداركني ربي برحمته؛ فالويل لابن الجويني! وها أنذا أموت على عقيدة أُمِّي" أو قال: "على عقيدة عجائز نيسابور".

والخِسرُ وشاهي كان من أجل تلامذة فخر الدين الرازي قال لبعض الفضلاء وقد دخل عليه يوماً: "ما تعتقد؟" فقال ذاك الرجل: "ما يعتقده المسلمون". فقال: "أنت منشرح الصدر لذلك مستيقن به؟" قال: "نعم". قال: "اشكر الله على هذه النعمة، لكنني والله ما أدري ما أعتقد! والله ما أدري ما أعتقد! والله ما أدري ما أعتقد! وبكى حتى أخضل لحيته".

وقال آخر: "ما عرفت مما حصَّلتَه شيئاً سوى أن المُمْكِنَ يفتقرُ إلى المَرْجَحِ!". ثم قال: "الافتقار وصفٌ سلبي! أموت وما عرفت شيئاً!".

وقال آخر: "أضطجع على فراشي وأضع المِلْحَفَةَ على وجهي، وأقابل بين

حَجَجَ هؤلاء وهؤلاء حتى يطلع الفجر، ولم يترجح عندي منها شيء".

وسبحان الله كما قال شارح الطحاوية: "تجد أحد هؤلاء عند الموت يرجع إلى مذهب العجائز، فيقرُّ بما أقرُّوا به، ويعرض عن تلك الدقائق المخالفة لذلك التي كان يقطع بها، ثم تبين له فسادها، أو لم يتبين له صحتها، فيكونون في نهايتهم -إذا سلموا من العذاب- بمنزلة أتباع أهل العلم من الصبيان، والنساء، والأعراب".

وكان أبو محمد الجويني والد إمام الحرمين في حيرة واضطراب في صفات الله ﷻ ثم صار إلى مذهب السلف، وألف رسالة نصح لبعض مشايخه من الأشاعرة وهي مطبوعة.

وقارن هذا بحال أهل السنة: اسمع كلام محقق في قوله * لا يثني عنهم ولا يتبدل فهي عقيدة صافية نزل بها جبريل من الربِّ الكريم على قلب نبينا ﷺ.

حُبُّ الصَّحَابَةِ كُلِّهِمْ لِي مَذْهَبٌ ٣ وَمَوَدَّةُ الْقُرْبَى بِهَا أَتَوَسَّلُ

حب الصحابة كلهم لي مذهب: لما كانت مسألة حب الصحابة، وصحة الاعتقاد تجاههم من أهم مسائل الاعتقاد ناسب أن يبتدئ بها، ونحن إنما تلقينا اعتقادنا عنهم، وصحة الاعتقاد تجاه الصحابة أساس في صحة الاعتقاد في باقي الأبواب؛ فالابتداء بهم مناسب. والصحابي: من لقي النبي ﷺ مؤمناً به، ومات على ذلك.

وقد جاء الآيات الكثيرة في فضلهم، منها: ﴿وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ أُولَئِكَ الْمُقَدَّمُونَ مِنَ الْمُهِجَرِينَ وَالْأَنْصَارِ﴾ [التوبة: ١٠٠] الآية، ﴿لَقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ﴾

[الفتح: ١٨] الآية، ﴿مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ﴾ [الفتح: ٢٩]

الآية.

وأيضًا جاءت أحاديث كثيرة في السنة فيها فضل الصحابة، منها قوله ﷺ: «لا تسبوا أصحابي فلو أن أحدكم أنفق مثل أحد ذهبًا؛ ما بلغ مدَّ أحدِهِم ولا نصيفه». وأيضًا قوله ﷺ: «النجوم أمانةٌ للسماء فإذا ذهبَت النجوم أتى السماء ما توعدُ، وأنا أمانةٌ لأصحابي، فإذا ذهبَت أتى أصحابي ما يوعدون، وأصحابي أمانةٌ لأمتي، فإذا ذهبَ أصحابي أتى أمتي ما يوعدون». وأيضًا قوله ﷺ: «خير أمتي قرني ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم».

وأفضل الصحابة الخلفاء الراشدون: أبو بكر ثم عمر ثم عثمان ثم عليّ ﷺ وقد استقرَّ رأي أهل السنة على أن ترتيبهم في الفضل؛ كترتيبهم في الخلافة، في البخاري عن ابن عمر ﷺ قال: "كننا نُخَيِّرُ بين الناس في زمن النبي ﷺ؛ فنُخَيِّرُ أبا بكر، ثم عمر بن الخطاب، ثم عثمان بن عفان ﷺ". وفي البخاري أيضًا عن محمد بن الحنفية أنه قال: "قلت لأبي: أيُّ الناس خيرٌ بعد رسول الله ﷺ؟" قال: "أبو بكر". قلت: "ثم من؟" قال: "عمر". -وخشيت أن يقول عثمان- قلت: "ثم أنت". قال: "ما أنا إلا رجل من المسلمين".

والواجب نحو الصحابة محبتهم، وموالاتهم، والتعريف بما يجب لهم من المحبة، والتبجيل، والترضي، والتفضيل على سائر الأمة. ومن أصول أهل السنة والجماعة أنهم يمسون عمدًا شجر بين الصحابة:

دَعُ ما جرى بين الصحابة في الوغى * بِسُيُوفِهِم يوم التقى الجمعانِ
فَقَتِلُهُمْ منهم وقَاتِلُهُمْ لهم * وكلاهما في الحشرِ مَرَحومانِ
لا تَقْبَلَنَّ مِنَ التَّوَارِخِ كَلِمًا * جَمَعَ الرُّوَاهُ وَخَطَّ كُلُّ بَنَانِ
أَزَوِ الحديثِ الْمُنتَقَى عن أَهْلِهِ * سِيما أولي الأحلامِ والأسنانِ

كابن المُسيَّب والعلاء ومالك * والليث والزُّهريُّ أو سُفيان

ولما سئل الإمام أحمد عن الفتن أيام الصحابة، تلا قوله تعالى: ﴿تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَلَكُمْ مَا كَسَبْتُمْ وَلَا تُسْأَلُونَ عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [البقرة: ١٤١].
وقال عمر بن عبدالعزيز: "تلك دماء طهر الله منها يدي فلا أحبُّ أن أخضب بها لساني".

والساعي في نشر أخبار هذه الفتن يخشى أن يكون ساعياً في باب الضلالة، وما أجمل تلك الكلمة التي ختم بها شيخ الإسلام ابن تيمية كلامه عن معتقد أهل السنة في الصحابة، قال: "ومن نظر في سيرة القوم بعلم وبصيرة، وما منَّ الله به عليهم من الفضائل؛ علم يقيناً أنهم خير الخلق بعد الأنبياء، لا كان ولا يكون مثلهم، وأنهم الصَّفوة من قرون هذه الأمة التي هي خير الأمم وأكرمها عند الله".
ومودة القربى بها أتوسل: أهل السنة يحبون أهل بيت النبي ﷺ، ويتولونهم، ويحفظون فيهم وصية رسول الله ﷺ حيث قال: «أُذَكِّرُكُمْ الله في أهل بيتي، أذكركم الله في أهل بيتي» كما في صحيح مسلم.

وقال أبو بكر الصديق رضي الله عنه: "والذي نفسي بيده لقراءة رسول الله ﷺ أحبُّ إليَّ أن أصِلَ من قرابتي". أخرجه البخاري.
وعنه رضي الله عنه في البخاري: "ارقبوا محمداً في آل بيته".

وورد عن عمر رضي الله عنه أنه قال للعباس: "والله لإسلامك يوم أسلمتَ كان أحبَّ إليَّ من إسلام الخطاب؛ ما بي إلا أن عرفتُ أن إسلامك كان أحبَّ إلى رسول الله ﷺ من إسلام الخطاب".

والقُربى: هم الذين تحرم عليهم الصدقة، ومن آل بيته أزواجه. ومودة القُربى عمل

صالح يُتوسَّل بها.

وَلِكُلِّهِمْ قَدْرٌ عَلا وَفَضَائِلُ ٤ لَكِنَّمَا الصِّدِّيقُ مِنْهُمْ أَفْضَلُ

كما سبق أفضل الصحابة الصديق ﷺ.

وَأَقُولُ فِي الْقُرْآنِ مَا جَاءَتْ بِهِ ٥ آيَاتُهُ فَهُوَ الْكَرِيمُ الْمُنَزَّلُ

معتقد أهل السنة والجماعة أن القرآن كلام الله ليس بمخلوق. وأول من أنكر أن القرآن كلام الله؛ الجعد، وقد قال ابن القيم:

ولأجلِ ذَا ضَحَّى بجعدِ خَالِدٍ الـ * قَسْرِيَّ يَوْمَ ذَبَائِحِ الْقُرْبَانِ
إذا قال إبراهيمُ ليس خَلِيلُهُ * كَلَّا ولا موسى الْكَلِيمَ الدَّانِي
شَكَرَ الضَّحِيَّةَ كُلَّ صَاحِبِ سُنَّةٍ * لِّلَّهِ دُرُّكَ مِنْ أَخِي قُرْبَانِ

وقد ضلَّ في هذا الباب جماعة؛ كالجهمية الذين قالوا: القرآن مخلوق. قال ابن القيم:

ولقد تَقَلَّدَ كُفْرَهُمْ خمسون في * عَشْرٍ مِنَ الْعُلَمَاءِ فِي الْبُلْدَانِ
واللَّكَاثِي الإمامُ حكاؤه عَنـ * هُمُ بل حكاؤه قَبْلَهُ الطَّبْرَانِي

وكذلك اللَّفْظِيَّةُ الذين قالوا: "لفظي بالقرآن مخلوق". وقد قال الإمام أحمد:
"اللفظية جهمية".

وكذلك الْوَاقِفَةُ: الذين قالوا: "لا نقول مخلوق، ولا نقول غير مخلوق". وقد قال
الإمام أحمد: "الواقفة جهمية".

وكذلك أصحاب الكلام النَّفْسِي، قال ابن القيم:

زعموا الْقُرْآنَ عِبَارَةً وَحِكَايَةً * فلنا كما زعموه قُرْآنَانِ

هذا الذي نتلوه مخلوقٌ كما * قال الوليدُ وبعدهُ الفئتانِ
والآخرُ المعنى القديمُ فقائمٌ * بالنفسِ لم يُسمعَ من الدَيَّانِ

الوليد: الوليد بن المغيرة

الفئتان: الجهمية والمعتزلة.

وقد ردَّ شيخ الإسلام ابن تيمية هذا القول في كتابه (التَّسْعِينِيَّة) من تسعين وجهًا،
قال ابن القيم:

وكذلك تسعينِيَّةٌ فيها له * ردُّ على مَنْ قالَ بالنَّفْساني
تسعون وجهًا بيَّنتُ بطلانَهُ * أعني كلامَ النَّفسِ ذا الوَحْدانِ

فمعتقد أهل السنة والجماعة أن القرآن كلام الله تعالى، وهنا النسخ العتيقة:
آياته فهو القديم المنزل كأن "الكريم" إصلاح حُوِّلَت مراعاةً للمعنى
الصحيح، ولمناقضتها لتصريح شيخ الإسلام ابن تيمية في مواضع كثيرة؛ بأن
"القديم" ليس من كلام السلف، أي لم يقل أحد من السلف: "إن القرآن قديم،
وأنه لا يتعلق بمشيئته وقدرته" ذكر هذا في عشرات المواضع ينكر وصف القرآن
بأنه قديم؛ بمعنى أنه غير متعلق بالمشيئة القدرة، فإذا كان النظم لشيخ الإسلام ابن
تيمية فيُقطع بأنه لم يصف القرآن بالقديم.

وأقولُ قَالَ اللهُ جَلَّ جلاله ٦ والمصطفى الهادي وَلَا أَتَأَوَّلُ

مقصود الناظم ردُّ التأويل الباطل؛ التأويل نوعان:

تأويل صحيح، وتأويل باطل؛ فالتأويل الصحيح: هو الذي دلَّ عليه دليل.

والتأويل الباطل: هو الذي لم يدل عليه دليل. والنفي هنا -ولا أَتَأَوَّلُ- محمول

على التأويل الباطل.

وجميع آيات الصفات أمرها ٧ حقا كما نقل الطراز الأول

مذهب أهل السنة والجماعة في هذا الباب قائم على أصليين:

الأصل الأول: إثبات بلا تمثيل.

والأصل الثاني: تنزيه بلا تعطيل.

كما قال تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ [الشورى: ١٧] وهو السميع

البصير: إثبات. ليس كمثله شيء: تنزيه.

وقد قال الإمام أحمد: "نصفُ الله تعالى بما وصف به نفسه، وبما وصفه به رسوله

ﷺ ولا نتجاوز القرآن والحديث".

والزائغون في هذا الباب طائفتان: "المُمَثِّلَة"، "والمُعْطَلَة". وقد جاءت هذه

العبارة: "أمرؤها كما جاءت بلا كيف" عن جماعة من السلف؛ كمكحول،

والزُّهري، ومالك، والليث، والأوزاعي في آخرين. وفيها ردُّ على المعطلة،

والمشبَّهة. كما جاءت: هذا ردُّ على المعطلة. بلا كيف: هذا ردُّ على الممثلة.

كما نقل الطراز الأول: الطراز؛ علم الثوب، ومقصوده كما نقل الرِّعيل الأول من

العلماء.

وأردُّ عَهدَها إلى نَقَالِها ٨ وأصونُها عن كُلِّ ما يُتَخَيَّلُ

وأرد عهديها إلى نقالها: إلى الثقات الذين نقلوها.

وأصونها عن كل ما يتخيل: أصونها؛ أحفظها عن كل ما يتخيل؛ فهو إثبات بلا

تمثيل، وتنزيه بلا تعطيل.

قُبْحًا لِمَنْ نَبَذَ الْقُرْآنَ وَرَاءَهُ ٩ وإذا استدلَّ يقولُ قَالَ الْأَخْطَلُ

في مجموع الفتاوى لشيخ الإسلام في ردِّ هذا القول؛ قال: "وقد أنشد فيهم المنشد.. " وذكر هذا البيت.

سبحان الله في كتب أهل الكلام تقرأ مائة صفحة لا تجد فيها استدلالاً بآية ولا حديث؛ إلا في سياق الردِّ يذكرونها على ألسنة الخصوم، ويردُّون. وإنما تجد فيها: "قال الحكماء" و"قال المعلم الأول" ونحو هذا.

الأخطل: غِيَاثُ بْنُ غَوَاثٍ التَّغْلِبِيُّ النَّصْرَانِيّ. يُشِيرُ بِهَذَا إِلَى بَيْتٍ:

إِنَّ الْكَلَامَ لَفِي الْفَوَادِ وَإِنَّمَا * جُعِلَ اللِّسَانُ عَلَى الْفَوَادِ دَلِيلًا

وهذا ردٌّ لمذهب الأشاعرة في الكلام؛ فهم الذين قالوا بالكلام النفسي. وهذا البيت ليس في ديوان الأخطل، وإنما: "إن البيان لفِي الْفَوَادِ.. " لكن لو كان الأخطل قاله هكذا: "إن الكلام لفِي الْفَوَادِ" لو كان قاله؛ فإن المقصود أن أصل الكلام ما يُضْمِرُهُ الْإِنْسَانُ فِي نَفْسِهِ؛ فأصل الكلام ما تَرَوَّرُهُ فِي نَفْسِكَ، ثم تتكلم به بعد ذلك.

والأخطل نصراني؛ فمن العجيب أن يُحْتَجَّ عَلَى مَسْأَلَةِ عَقْدِيَّةِ بَكْلَامِ نَصْرَانِيٍّ! وزِدَ عَلَى ذَلِكَ أَنَّ النَّصَارَى ضَلُّوا فِي الْكَلِمَةِ؛ فَجَعَلُوا عَيْسَى الْمَسِيحَ نَفْسَ الْكَلِمَةِ، وَقَدْ قَالَ ابْنُ الْقَيْمِ فِي سِيَاقِ الرَّدِّ عَلَى الْكَلَامِ النَّفْسِيِّ:

وَدَلِيلُهُمْ فِي ذَلِكَ بَيْتٌ قَالَهُ * فِيمَا يُقَالُ الْأَخْطَلُ النَّصْرَانِي

يَا قَوْمٍ قَدْ غَلِطَ النَّصَارَى قَبْلُ فِي * مَعْنَى الْكَلَامِ وَمَا اهْتَدَوْا لِبَيَانِ

يقول: النصارى غلطوا في معنى الكلام؛ فكيف يُحْتَجَّ بِكَلَامِهِمْ عَلَى مَسْأَلَةٍ فِي

عقائد المسلمين.

والمؤمنون يَرَوْنَ حَقًّا رَبَّهُمْ ١٠ وإلى السماءِ بِغَيْرِ كَيْفٍ يَنْزِلُ

يؤمن أهل السنة والجماعة بأن المؤمنين يرون ربهم يوم القيامة عياناً كما يرون الشمس ليس دونها سحاب، وكما يرون القمر لا يُضامون في رؤيته، وقد دلَّ على ذلك من القرآن آيات كثيرة، منها: ﴿وَجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاصِرَةٌ ﴿٢٣﴾ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ﴿٢٤﴾﴾ [القيامة : ٢٣ - ٢٤]، ﴿عَلَى الْأَرْيَافِ يَنْظُرُونَ ﴿٢٣﴾﴾ [المطففين : ٢٣] مفهوم المخالفة في قوله تعالى عن الكفار: ﴿كَلَّا إِنَّهُمْ عَنْ رَبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَمَحْجُوبُونَ ﴿١٥﴾﴾ [المطففين : ١٥] في آيات كثيرة.

كذلك من السنة كما في الصحيحين من حديث عبدالله بن جرير البجلي رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «إنكم سترون ربكم كما ترون القمر ليلة البدر لا تضامون في رؤيته؛ فإن استطعتم ألا تغلبوا على صلاة قبل طلوع الشمس، وصلاة قبل غروبها فافعلوا». وقد قال شيخ الإسلام بن تيمية: هذا الحديث من أصح الأحاديث على وجه الأرض المتلقاة بالقبول، المجمع عليها عند العلماء بالحديث وسائر أهل السنة.

ويدلُّ لذلك أيضاً حديث ضُهِيب رضي الله عنه في مسلم أن النبي ﷺ قال: «إذا دخل أهل الجنة الجنة، يقول الله تبارك وتعالى: تريدون شيئاً أزيدكم؟ فيقولون: ألم تبيض وجوهنا؟ ألم تدخلنا الجنة، وتنجنا من النار؟ قال: فيكشف الحجاب، فما أعطوا شيئاً أحب إليهم من النظر إلى ربهم عز وجل».

وكان من دعاء النبي ﷺ: «وَأَسْأَلُكَ لَذَّةَ النَّظَرِ إِلَىٰ وَجْهِكَ». كما عند النسائي من حديث عمار بن ياسر رضي الله عنه.

وقد قال ابن القيم - رحمه الله - :

والله لولا رؤية الرحمن في أل * جنات ما طابت لذي العرفان
أعلى النعيم نعيم رؤية وجهه * وخطابه في جنة الحيوان
وأشد شيء في العذاب حجابُه * سبحانه عن ساكني النيران

والنسوة في قصة يوسف لما رأى يوسف أكبرنه، وقطعن أيديهن؛ فما الظن بمن له
الجمال كله؟! بل نسبة كل جمال إلى جماله أقل من نسبة سراج ضعيف إلى عين
الشمس!

ووراء هاتيك الشُّور مُحجَّب * بالحسن كل العز تحت لوائه
لو أبصرت عينك بعض جماله * لبذلت منك الروح في إرضائه
ما طابت الدنيا بغير حديثه * كلاً ولا الأخرى بدون لقاءه

وإلى السماء بغير كيف ينزل: صفة النزول صفة ثابتة لله تعالى ثبتت بها السنة، قال
النبي ﷺ: «ينزل ربنا إلى السماء الدنيا كل ليلة حين يبقى ثلث الليل الآخر؛ فيقول:
مَن يدعوني فأستجيبَ له؟ مَن يسألني فأعطيه؟ مَن يستغفرني فأغفرَ له؟». وأحاديث النزول متواترة. وقول الإمام مالك في الاستواء يُستصحب في جميع
الصفات. قول الإمام مالك: "الاستواء معلوم، والكيف مجهول، والإيمان به
واجب، والسؤال عنه بدعة". هذا القول أنبته الله نباتاً حسناً في قلوب أهل السنة؛
فأجروه في جميع الصفات، ومن ذلك صفة النزول.

وإثبات النزول إثبات للعلو، ولذلك الإمام الذهبي في كتابه (كتاب العلو) أورد
حائيّة ابن أبي داود، مع أنه ليس فيها التصريح بالعلو، وإنما فيها: وقُل ينزلُ
الجبارُ في كل ليلة. لذلك يقول الدارمي في حديث: «ينزلُ ربنا إلى السماء الدنيا في

كل ليلة..» يقول: هذا أغبطُ حديثٍ للجهمية. لأن فيه إثبات النزول، وفيه إثبات العلو، وفيه إثبات الكلام.

وأقر بالميزانِ والحوضِ الذي ١١ أرجو بأنِّي مِنْهُ رِيًّا أَنَهْلُ

يُنصب الميزان يوم القيامة، فتوزن به أعمال العباد؛ ﴿فَمَنْ ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ [المؤمنون: ١٠٢]. وقد أخرج الحاكم عن سلمان الفارسي أن النبي ﷺ قال: «يُوضع الميزانُ يومَ القيامةِ، فلو وُزِنَ فِيهِ السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ؛ لَوُسِعَتْ! فتقول الملائكة: لِمَنْ يَزَنُ هَذَا؟ فيقول الله: لِمَنْ شِئْتُ مِنْ خَلْقِي. فتقول الملائكة: سبحانَكَ ما عبدناكَ حَقَّ عِبَادَتِكَ». وصحَّح الشيخ الألباني وقفه على سلمان رضي الله عنه. لكن له حكم الرفع لأن مثله لا يُقال بالرأي. وهذا الحديث به استدلال من قال إنه ميزان واحد لجميع الأمم، وأما الجمع في الآيات: ﴿فَمَنْ ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ﴾ [المؤمنون: ١٠٢]، ﴿وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ﴾ [الأنبياء: ٤٧]؛ فباعتبار الموزون أو من باب التفخيم والتعظيم. والمسلمون لهم أحوال في الوزن:

الحال الأولى: رُجحان الحسنات؛ فمن رَجَحَتْ حسناته ولو بحسنة واحدة فإنه يدخل الجنة بلا سابقة عذاب ﴿فَأَمَّا مَنْ ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ﴾ ٦ ﴿فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَاضِيَةٍ﴾ ٧ [القارعة: ٦ - ٧]. وهم متفاوتون في ذلك تفاوتاً عظيماً.

الحال الثانية: رجحان السيئات؛ فهؤلاء أهل المحنة والبلية كما يقول ابن القيم -نسأل الله العافية- وقد جزم ابن حزم وابن القيم بأنه من رجحت سيئاته فإنه يدخل النار حتماً وإن كان لا يُخلد فيها إن كان مسلماً، وهو ظاهر كلام شيخ الإسلام. وقال كثير من أهل العلم: إنه تحت المشيئة؛ فيدخل النار إلا أن تحصل له شفاعاة قبل أن يدخل النار؛ لأن الشفاعاة تحلُّ والناس على الصراط وهو بعد

الميزان.

والحال الثالثة: تساوي الحسنات والسيئات؛ وهؤلاء الذين تساوت حسناتهم وسيئاتهم أصحاب الأعراف ﴿وَعَلَى الْأَعْرَافِ رِجَالٌ يَعْرِفُونَ كُلًّا بِسِيمَاهُمْ وَنَادَوْا أَصْحَابَ الْجَنَّةِ أَنْ سَلِّمُوا عَلَيْكُمْ لَمْ يَدْخُلُوهَا وَهُمْ يَطْمَعُونَ﴾ [الأعراف : ٤٦]. وهذا هو الثابت عن الصحابة في أصحاب الأعراف، وهو المُتَقَرَّر عند أهل العلم؛ أنهم من تساوت حسناتهم وسيئاتهم، ومآلهم إلى الجنة، كما قال الله تعالى في آخر آيات أصحاب الأعراف: ﴿ادْخُلُوا الْجَنَّةَ لَا خَوْفٌ عَلَيْكُمْ وَلَا أَنْتُمْ تَحْزَنُونَ﴾ [الأعراف : ٤٩]. وقد قال ابن حزم -رحمه الله- في كتاب (التلخيص لوجوه التخليص) قال: ولينا نكون من هذه الصفة فوالله إنها لمن أبعد آمالي التي لا أدري كيف التوصل إليها إلا برحمة الله تعالى، وأما بعمل أعلمه مني فلا.

والكفار يوزنون، ويدل لذلك قوله تعالى: ﴿وَمَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَئِكَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ فِي جَهَنَّمَ خَالِدُونَ﴾ [١٣] تَلْفَحُ وُجُوهُهُمُ النَّارُ وَهُمْ فِيهَا كَالِحُونَ [١٤] أَلَمْ تَكُنْ عَائِيَّتِي تُثَلِّلُ عَلَيْكُمْ فَكُنْتُمْ بِهَا تُكَذِّبُونَ [١٥] [المؤمنون : ١٠٣ - ١٠٥] . فالسياق كله في الكفار، والآية صريحة في وزنهم.

وأما ﴿فَلَا نُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ وَزَنًا﴾ [الكهف : ١٠٥]؛ فالمعنى أنهم لا قدر لهم عند الله، أو يكون المنفي الوزن النافع، وفائدة وزن الكفار إظهار عدل الله تعالى، وإظهار خزيهم، وأيضا معرفة منزلته في النار من أي الدركات هو.

والحوض الذي أرجو باني منه ريبا أنهل: الحوض؛ مجمع الماء العظيم الذي يكون في عرصات القيامة، ويرده المؤمنون، وهو الموقف الوحيد من مواقف القيامة الذي لم يرد له ذكر في القرآن، وقد بلغت فيه الأحاديث مبلغ التواتر، رواها أكثر

من خمسين صحابياً كما جمع ذلك ابن حجر، وذكر أن بعض المتأخرين أوصلها إلى رواية ثمانين صحابياً، وصفات الحوض كما في الأدلة: لون مائه أشدُّ بياضاً من اللبن، وفي رواية: من الورق، أبردُ من الثلج، وريحه أطيب من المسك، وطعمه أحلى من العسل، وكيزانه -أباريقه- كعدد نجوم السماء، وفي رواية: «لَأَنْبِئَهُ أَكْثَرُ مِنْ عَدَدِ نَجُومِ السَّمَاءِ وَكَوَاقِبِهَا». من شَرِبَ منه شربةً لم يظمَ بعدها أبداً، ومن صفاته: أنه يَشْخُبُ فيه ميزابان من الجنة -يشخب: يسيل، يقال: شَخَبَ يَشْخَبُ ويشْخُبُ بفتح الخاء وضمها-. وأما مساحته فقد قال النبي ﷺ: «حَوْضِي مَسِيرَةُ شَهْرٍ، وَزَوَايَاهُ سَوَاءٌ». وفي رواية: «عَرْضُهُ مِثْلُ طَوْلِهِ».

*الفرق بين الحوض والكوثر:

- الكوثر أصل الحوض، ومنه يُمدُّ.
- الكوثر خاصٌّ بالنبي ﷺ، وأما الحوض فقد ورد في الحديث: «إِنْ لِكُلِّ نَبِيٍّ حَوْضًا، وَإِنْهُمْ يَتَبَاهَوْنَ أَثْنُ أَكْثَرِ وَارِدَةٍ، وَإِنِّي أَرْجُو أَنْ أَكُونَ أَكْثَرَهُمْ وَارِدَةً» والحديث عند الترمذي.
- وكذلك الكوثر في الجنة، والحوض في عرصات القيامة.

*والذين يُزَادُونَ عن الحوض ثلاثة أصناف:

الصَّنْفُ الأول: المُرْتَدُّون، بدليل: «إِنْهُمْ لَمْ يَزَالُوا مُرْتَدِّينَ عَلَى أَعْقَابِهِمْ» كما في الصحيحين. لأنه ورد في الحديث: «أَلَا لِيُزَادَنَّ رَجُلًا عَنْ حَوْضِي كَمَا يُزَادُ الْبَعِيرُ الضَّالُّ، أُنَادِيهِمْ أَلَا هَلُمُّ؛ فَيَقَالُ: إِنَّهُمْ قَدْ بَدَّلُوا بَعْدَكَ؛ فَأَقُولُ: سَحَقًا سَحَقًا» أي:

بعدًا بعدًا.

الصنف الثاني: المبتدعة، كما في الحديث السابق: «إنهم قد بدّلوا بعدك»، وكذلك: «إنك لا تدري ما أحدثوا بعدك» كما في الصحيحين.

الصنف الثالث: كما أثبتهم بعد العلماء، وهم من عظمت جرائمهم، وكبرت ذنوبهم؛ ذكره ابن عبد البرّ في (التمهيد)، والقرطبي في (التذكّرة)، وغيرهما. ويدلُّ لهذا الثالث، ما أخرجه الإمام أحمد في المسند، وصحّحه محققوه عن ابن عمر - رضي الله عنهما - أن النبي ﷺ قال: «سيكونُ عليكم أمراءُ يأمرُونكم بما لا يفعلون، فمن صدّقهم بكذبهم، وأعانهم على ظلمهم؛ فليس مِنِّي ولستُ منه، ولن يردَّ عليّ الحوض».

أرجو بأنّي منه رِيًّا أنهل: أشرب حتى أروى.

وكذا الصراطُ يُمَدُّ فوقَ جهنّمِ ١٢ فَمُسْلَمٌ نَاجٍ وَآخِرُ مُهْمَلٍ

الصّراطُ: في اللغة هو الجسر الواضح، والمقصود به هنا هو الجسر المنصوب على متن جهنّم. وورد ذكره في القرآن في قوله تعالى: ﴿وَإِنْ مِنْكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا كَانَ عَلَى رَبِّكَ حَتْمًا مَقْضِيًّا﴾ [مَرِّمَ: ٧١]. وإن منكم إلا واردها: أي جهنّم، والمقصود هنا المرور على الصراط، وليس معناه الدُّخول، الورود في لسان العرب المقصود به: الإشراف على الشيء، سواءً أكان معه دخولًا أم لا؛ يُقال: ورد عليه إذا أشرف عليه دخله أم لم يدخله؛ فمن الورود الذي معه دخول قوله تعالى: ﴿يَقْدُمُ قَوْمَهُ يَوْمَ الْقِيَمَةِ فَأَوْرَدَهُمُ النَّارَ وَبِئْسَ الْوَرْدُ الْمَوْرُودُ﴾ [هُود: ٩٨]. هذا دخول.

ومن الورود الذي ليس معه دخول قوله تعالى: ﴿وَلَمَّا وَرَدَ مَاءَ مَدْيَنَ﴾ [الْقَصَص: ٢٣].

فموسى عليه السلام لم يدخل البئر، وإنما أشرف عليه.

*وفي الصراط مسائل:

- ورد في صفاته: أنه زلق أي لا تثبت عليه الأقدام ولا تستقر؛ ففي الصحيحين عن النبي ﷺ أنه سئل عن الصراط فقال: «دَحْضٌ مَرَّلَةٌ». بمعنى أنه تزلُّ فيه الأقدام.
- وورد أنه على حافتيه خطاطيف، وكلايب، وحسك. الخطاطيف: جمع خُطَاف. والكلايب: جمع كَلُوب. وهما بمعنى واحد، بمعنى الحديد المعطوفة الرأس، التي يُعلَّق فيها اللحم وتُرسل في التنور. والحسك: شوكٌ صُلْبٌ من حديد. في الصحيحين قال النبي ﷺ: «عليه خطاطيف، وكلايب، وحسكةٌ مُفْلَطَحَةٌ، لها شوكةٌ عَقِيفَةٌ» في نسخة للبخاري: «عُقِيفَاء»، وفي رواية مسلم: «وفي حافتي الصراطِ كلايبٌ معلقة، مأمورةٌ بأخذ مَنْ أُمِرَتْ بِهِ». مفلطحة: عريضة فيها اتساع. عقيفة: ملوَّية.
- ومن صفاته: أنه حادٌّ كالسيف. قال أبي سعيد الخدري رضي الله عنه: «بلغني أنَّ الجسرَ أدقُّ من الشعرة، وأحدُّ من السِّيف».
- والمؤمنون في المرور على الصراط أحوالهم مختلفة من حيث السرعة، ومن حيث النور والظلمة؛ فمن حيث السرعة دلَّت الأحاديث على أنهم يكونون متفاوتين في سرعتهم على قدر أعمالهم؛ منهم من يمرُّ كلمح البصر، ومنهم كالبرق، ومنهم من يمرُّ كالريح، ومنهم من يمرُّ كالفرس الجواد، ومنهم من يمرُّ كركاب الإبل، ومنهم من يعدو عدواً، ومنهم من

يمشي مشياً، ومنهم من يزحف زحفاً، وآخرهم رجلٌ يتَلَبَّطُ على بطنه؛ فيقول: «أي ربّ لماذا أبطأت بي؟ فيقول: لم أبطئ بك، وإنما أبطأ بك عملك». هذا من حيث السرعة، ومن حيث النور والظلمة، قال النبي ﷺ: «فِيُعْطَوْنَ نُورَهُمْ عَلَى قَدْرِ أَعْمَالِهِمْ» قال: «فمنهم مَنْ يُعْطَى نُورُهُ عَلَى قَدْرِ الْجِبَلِ بَيْنَ يَدَيْهِ، ومنهم مَنْ يُعْطَى نُورُهُ فَوْقَ ذَلِكَ، ومنهم مَنْ يُعْطَى نُورُهُ مِثْلَ النَّخْلَةِ بِيَمِينِهِ، ومنهم مَنْ يُعْطَى دُونَ ذَلِكَ بِيَمِينِهِ، حَتَّى يَكُونَ آخِرُ ذَلِكَ مَنْ يُعْطَى نُورُهُ عَلَى إِبْهَامِ قَدَمِهِ، يُضِيءُ مَرَّةً وَيُطْفِئُ مَرَّةً؛ فَإِذَا أَضَاءَ قَدَمَهُ وَإِذَا طَفِئَ قَامَ؛ فَيَمُرُّ وَيَمُرُّونَ عَلَى الصَّرَاطِ، وَالصَّرَاطُ كَحَدِّ سَيْفٍ دَخُضٌ مَزَلَّةٌ؛ فَيُقَالُ: انْجُوا عَلَى قَدْرِ نُورِكُمْ».

• وأما نتيجة العبور على الصراط؛ فأشار إليها الناظم هنا فقال:

فمسلّم ناج وآخر مهمل: وهذا في الحديث: «فَنَاجٍ مُسَلِّمٌ، وَنَاجٍ مَخْدُوشٍ، وَمَكْدُوسٍ فِي نَارِ جَهَنَّمَ».

- الصنف الأول: «فَنَاجٍ مُسَلِّمٌ».

- والصنف الثاني: «وَنَاجٍ مَخْدُوشٍ» أي مجروح، وجاءت ألفاظ قريبة من هذا، منها: «مَخْدُوشٌ مُرْسَلٌ»، ومنها: «مَخْدُوشٌ مُكَلَّمٌ»، ومنها: «مَخْدُوجٌ بِهِ» أي: من الخَدْج وهو النقص، أي كأن الكلايب أخذت من لحمه - والعياذ بالله - . ومنها: «مُخَرَّدَلٌ» أي: مُقَطَّعٌ، يقال: خَرَدَلْتُ اللحم إذا قَطَّعْتَهُ.

- والصنف الثالث: «وَمَكْدُوسٍ فِي نَارِ جَهَنَّمَ» يقال: تَكَدَّسْتَ الأشياء إذا

ركب بعضها بعضاً. وورد: «مَنكوس» أي ساقط على رأسه.

وقد استوفى ابن القيم هذه الأصناف الثلاثة في (الميمية) في قوله:

وَحُذِّ مِنْ تُقَى الرَّحْمَنِ أَسْبَغَ جُنَّةٌ * لِيَوْمٍ بِهِ تَبْدُو عِيَانًا جَهَنَّمَ
وَيُنْصَبُ ذَاكَ الْجِسْرُ مِنْ فَوْقِ مَتْنِهَا * فَهَآؤِ وَمَخْدُوشٍ وَنَاجٍ مُسَلَّمٌ

والناجون بعد مرورهم على الصراط يتكلمون بكلام يدل على عظيم فرحهم؛ ففي الحديث أنهم يقولون: «الحمد لله الذي نجَّانا منك بعد أن أَرَانَاكَ، لقد أعطانا الله ما لم يُعْطِ أَحَدًا».

وَالنَّارُ يَصْلَاهَا الشَّقِيُّ بِحِكْمَةٍ ١٣ وكذا التَّقِيُّ إِلَى الْجَنَّةِ سَيِّدُ خُلٍّ

الجنة والنار مخلوقتان موجدتان الآن، قال الله تعالى عن الجنة: ﴿أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ﴾ [آل عمران: ١٣٣]، وقال عن النار: ﴿أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ﴾ [آل عمران: ١٣١]. ونبينا ﷺ رأى الجنة ورأى النار، كما في حديث صلاة الكسوف لما قالوا: "يا رسول الله رأيناك تناولت شيئاً في مقامك ثم رأيناك كَعَكَعْتَ؟" قال: «إني رأيت الجنة فتناولت عُنْقُودًا، ولو أَصْبَتْهُ لَأَكَلْتُمُ مِنْهُ ما بقيت الدنيا، ورأيت النار فلم أرَ مَنْظَرًا كالיום قطُّ أَفْظَعُ» وهما باقيتان لا تفتيان، قال تعالى عن أهل الجنة: ﴿خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا﴾ [النساء: ٥٧]، وقال عن أهل النار: ﴿خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا﴾ [الأحزاب: ٦٥].

والجنة فيها ما لا عين رأت، ولا أذن سمعت، ولا خطر على قلب بشر، قال النبي ﷺ: قال الله تعالى: «أَعَدَدْتُ لِعِبَادِي الصَّالِحِينَ ما لا عين رأت، ولا أذن سمعت، ولا خطر على قلب بشر» متفق عليه. وفي صحيح مسلم أن النبي ﷺ قال: «من يدخل الجنة ينعم ولا يبأس، لا تبلى ثيابه، ولا يفنى شبابه». وفي صحيح مسلم أن

الرسول ﷺ قال: «يُنَادِي مَنَادٌ إِنْ لَكُمْ أَنْ تَصِحُّوا فَلَا تَسْقَمُوا أَبَدًا، وَإِنْ لَكُمْ أَنْ تَحْيُوا فَلَا تَمُوتُوا أَبَدًا، وَإِنْ لَكُمْ أَنْ تَشْبُوا فَلَا تَهْرَمُوا أَبَدًا، وَإِنْ لَكُمْ أَنْ تَنْعَمُوا فَلَا تَبْأَسُوا أَبَدًا»، فذلك قوله: ﴿وَنُودُوا أَنْ تِلْكَ الْجَنَّةُ الَّتِي أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ [الأعراف: ٤٣].

وَلِكُلِّ حَيٍّ عَاقِلٍ فِي قَبْرِهِ ١٤ عَمَلٌ يُقَارِنُهُ هُنَاكَ وَيُسْأَلُ

فتنة القبر هي سؤال الميت في قبره عن ربّه، ودينه، ونبیّه. وقد دلّ على فتنة القبر قوله تعالى: يثبت الله، وفسرها النبي ﷺ بفتنة القبر كما في البخاري: «إِذَا أُقْعِدَ الْمُؤْمِنُ فِي قَبْرِهِ أَتَى ثُمَّ شَهِدَ أَلَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَأَنْ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ؛ فذلك قوله: ﴿يُثَبِّتُ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ﴾». ومن السنة أيضًا ما في الصحيحين من أن النبي ﷺ قال: «إِنَّهُ قَدْ أَوْحَى إِلَيَّ أَنْكُمْ تُفْتَنُونَ فِي الْقُبُورِ، مِثْلَ أَوْ قَالَ قَرِيبًا مِنْ فِتْنَةِ الْمَسِيحِ الدَّجَالِ». والفتنة تكون للأمم كلها، ويستثنى منها أصناف:

- يُسْتثنى الأنبياء؛ لأنه يُسأل عنهم.
- ويُستثنى الشهداء، وقد قيل للنبي ﷺ ما بال المؤمنين يُفْتَنُونَ فِي قُبُورِهِمْ إِلَّا الشَّهِيدَ؛ فقال النبي ﷺ: «كَفَى بِبَارِقَةِ السُّيُوفِ عَلَى رَأْسِهِ فِتْنَةً». أخرج النسائي وصححه الألباني.
- وممن يُسْتثنى من مات مُرَابِطًا: ففي صحيح مسلم أن النبي ﷺ قال: «رِبَاطُ يَوْمٍ وَلَيْلَةٍ، خَيْرٌ مِنْ صِيَامِ شَهْرٍ وَقِيَامِهِ، وَإِنْ مَاتَ جَرَى عَلَيْهِ عَمَلُهُ الَّذِي كَانَ يَعْمَلُهُ، وَأُجْرِيَ عَلَيْهِ رِزْقُهُ، وَأَمِنَ الْفَتَانُ».

- ومنهم من مات يوم الجمعة أو ليلته، عند الترمذي أن النبي ﷺ قال: «ما من مسلم يموت يوم الجمعة أو ليلة الجمعة إلا وقاه الله فتنة القبر» قال الألباني الحديث ثابت.
- وممن يُستثنى من لا تكليف عليه؛ كالصغير والمجنون؛ لأن الفتنة فرع التكليف.

وعذاب القبر حق، ومما يدل عليه من القرآن قوله تعالى: ﴿النَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ أَدْخِلُوا آلَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ الْعَذَابِ ٥٦﴾ [غافر : ٤٦]. والواو تفيد المغايرة؛ إذا عرضهم على النار هو في البرزخ - في القبر - . وأيضاً قوله تعالى: ﴿مِمَّا خَطِيئَتِهِمْ أُغْرِقُوا فَأُدْخِلُوا نَارًا﴾ [نوح : ٢٥]. والفاء للترتيب بلا مهلة. وأيضاً قوله تعالى: ﴿سَنُعَذِّبُهُمْ مَرَّتَيْنِ ثُمَّ يُرَدُّونَ إِلَىٰ عَذَابٍ عَظِيمٍ ٥١﴾ [التوبة : ١٠١]. في الدنيا والبرزخ - القبر - ثم يردون إلى عذاب عظيم. وأيضاً قوله تعالى: ﴿وَلَوْ تَرَىٰ إِذِ الظَّالِمُونَ فِي غَمَرَاتِ الْمَوْتِ وَالْمَلَائِكَةُ بَاسِطُوا أَيْدِيهِمْ أَخْرِجُوا أَنفُسَكُمُ الْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ الْهُونِ﴾ [الأنعام : ٩٣]. وأيضاً قوله تعالى: ﴿وَلَوْ تَرَىٰ إِذِ يَتَوَفَّى الَّذِينَ كَفَرُوا الْمَلَائِكَةُ يَضْرِبُونَ وُجُوهَهُمْ وَأَدْبَرَهُمْ وَذُوقُوا عَذَابَ الْحَرِيقِ ٥٠﴾ [الأنفال : ٥٠].

ومن السنة قوله ﷺ: «لولا ألا تدافنوا لدعوتُ الله أن يُسمِعكم من عذاب القبر» الحديث في صحيح مسلم. وفي صحيح مسلم أيضاً أن النبي ﷺ قال: «إذا تشهَّد أحدكم فليستعذ بالله من أربع، يقول: اللهم إني أعوذ بك من عذاب جهنم، ومن عذاب القبر، ومن فتنة المحيا والممات، ومن شر فتنة المسيح الدجال».

وأَسباب عذاب القبر كثيرة، لكن السبب المُجمل هو المعاصي، ﴿وَمَنْ أَعْرَضَ عَنْ ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَمَةِ أَعْمَى﴾ [طه : ١٢٤].

ثبت عن أبي هريرة رضي الله عنه أنه قال: "عذاب القبر".

وهناك أسباب مفصلة وردت فيها أحاديث خاصة، منها: النميمة، وعدم التنزه من البول، وجُرُّ الثوب خيلاء، والكذبة تبلغ الآفاق، والزنا، والرِّبَا، كل هذه وردت فيها أحاديث خاصة.

والسبب المجمل للوقاية من عذاب القبر؛ فعل الحسنات، قال تعالى: ﴿وَمَنْ عَمِلَ صَالِحًا فَلَا نَفْسَ لَهُمْ يَمَّهْدُونَ﴾ [الرُّوم : ٤٤]. قال مجاهد: "في القبر". وأما الأسباب المفصلة فهي كثيرة، منها: كثرة الاستعاذة منه، ومنها - كما سبق - الشهادة، والرِّباط، ومنها: قراءة سورة تبارك كل ليلة، قال عبدالله بن مسعود رضي الله عنه: «مَنْ قرأ تبارك الذي بيده الملك كل ليلة منعه الله بها من عذاب القبر، وكُنَّا في عهدِ رسول الله ﷺ نُسَمِّيها المانعة، وإنها في كتابِ الله سورةٌ مَنْ قرأ بها في كُلِّ ليلةٍ فقد أكثر وأطاب». الحديث أخرجه النَّسائي في الكبرى، وحسنه الألباني في صحيح الترغيب.

هذا اعتقادُ الشافعي ومالك ١٥ وأبي حنيفة ثم أحمد يُنْقَلُ
فإن اتبعت سبيلهم فموفق ١٦ وإن ابتدعت فما عليك معول

فإن اتبعت سبيلهم: واعتقدت ما اعتقدوه؛ فموفق.

وإن ابتدعت: بالزَّيغ عن طريقهم، والانحراف عن منهاجهم، فما عليك معول.

هذا آخره.. والحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.